كلية الآداب جامعة بنها

مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

منهج ابن حجّي في تاريخه

(٧٥١-٨١٦ هـ)، (١٣٥٠-١٤١٣ م)

إعداد

سامي بن غازي العنزي

كلية التربيةوالأداب

جامعة الحدود الشمالية

العدد٥٨ اكتوبر ٢٠٢٢

https://jfab.journals.ekb.eg/

ملخص

يتناول البحث منهج ابن حجّي في تاريخه والّذي يمكن تصنيفه كأحد كتب التاريخ الإقليمي عن دمشق إذ دوّن فيه يوميّات ومذكرات زامنها وعاصرها عن مدينة دمشق من سنة ٧٩٦–٨١٥ هـ. وقد كان منهجه حوليّاً بحسب تتابع السنين والأشهر. و كانت أخباره في غالبها مختصرة لأنّ طبيعة الكتاب ككتاب يوميّات تجبره على ذلك بالإضافة إلى منهج الاختصار الّذي كان أحد ابرز سمات عصره. وقد تناول البحث خطة الكتاب العامّة وكيف قام ابن حجّي بتنظيمه. كما تناول البحث مادّة الكتاب العلميّة والّتي كانت في مجملها أحداثاً تاريخيّة يتخللها أخباراً عن الطقس، والمناصب الإداريّة وشاغليها، والأوبئة، والاسعار، والمعاملات التجاريّة، والقضايا الدينيّة، ووفود حج الشام، وبعض أخبار السلطان، والوفيّات. كما عرض البحث لطريقة ابن حجّي في الكتابة وجودة كتاباته وسهولتها. كما عرض لتأثير مكانة ابن حجّي على كتاباته فقد كان يتجنّب الألفاظ غير المهذبة والعبارات الجارحة.

الكلمات المفتاحية :

ابن حجي، التاريخ الإقليمي، يوميّات، منهج، الخطة العامة للكتاب، المادة العلمية.

مقدِّمة:

تمهيد:

يعتبر تاريخ ابن حجّي أحد كتب التاريخ الإقليمي الّذي عرض مؤلّفه في غالبه لتاريخ دمشق على شكل يوميّات من سنة ٧٩٦ هـ إلى سنة ٨١٥ هـ (١٣٩٣-١٤١٣ م)، والكتاب متنوّع في أحداثه وموضوعاته فهو شامل لجميع صور الحياة اليوميّة في دمشق وهو ما دفع بالباحث للاهتمام بهذا الموضوع وتناوله في بحث مستقل.

أهميّة الدراسة:

أخذ الكتاب أهميّته من جوانب متعدّدة ففيه تصوير ليوميّات المجتمع الدمشقي خلال الحقبة الزمنيّة الّتي غطّاها الكتاب. كما يحتوي على مادّة تاريخيّة وحضاريّة غزيرة في شتّى المجالات الدينيّة والسياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة والفلكيّة والأوبئة والوفيّات وغيرها. كما تبرز أهميّة الكتاب من باب أنّ ابن حجّي كان بمثابة شاهد عيان زامن وعاصر الأحداث والأخبار المذكورة في تاريخه. ولا شكّ أنّ هذه الاهميّة للكتاب تعطي البحث في منهج ابن حجّي أهميّة كبيرة لمحاولة استكشاف منهجه وما يتبعه من خطّة الكتاب وتنظيمه ومحتواه وضوابط انتقائه لمادّته العلميّة وحياده في الكتابة وأثر منهجه على من بعده وغيرها من عناصر المنهج كما سيظهر في ثنايا الدراسة.

أهداف الدراسة:

الوقوف على منهج المؤرّخ المسلم عندما يكون معاصراً وشاهد عيان على الأحداث الّتي يحتويها الكتاب موضوع الدراسة.

كما أنّ الكتاب فيه محاولة للوقوف على منهج ابن حجّي والّذي يمكن اعتباره أحد صغار مؤرّخي الإسلام وبالتالي استكشاف منهج هؤلاء المؤرّخين ومدى دقّته وتقييم الحسّ والصنعة التاريخيّة عندهم.

الوقوف على منهج المؤرّخ عندما يدوّن حوادث كتابه وأخباره على شكل يوميّات كما فعل ابن حجّي.

أقسام البحث:

قام الباحث بتقسيم البحث إلى مواضيع متعدّدة رأى أنّها تستطيع إبراز منهج ابن حجّي في تاريخه، وقد جاء تقسيمه من خلال تناوله لترجمة ابن حجّي، وخطّة الكتاب العامّة وتنظيمه، ومحتويات الكتاب ومادّته العلميّة، ومصادره، ثمّ المنهج العامّ للكتاب وأبرز خصائص هذا المنهج كضابط انتقائه للمادّة العلميّة، والاختصار، والربط بين الأحداث وترتيبها، ولغته، وأخيراً أثر منهجه على من بعده من المؤرّخين.

منهج البحث:

يخضع هذا البحث لمنهج البحث التاريخي والّذي عادةً يُعنى بجمع المعلومة من مصادرها الأصليّة، وتقسيم البحث إلى عناصر يمكن أن تصوّر صورة حيّة للموضوع مجال الدراسة وهو في هذا المجال تاريخ ابن حجّي.

مصادر الدراسة:

هناك مصدر رئيس للدراسة وهو تاريخ ابن حجّي الّذي اعتمد عليه الباحث كثيراً في استخراج واستنباط منهج ابن حجّي، كما رجع الباحث إلى مصادر أخرى بحسب الضرورة ككتب المسانيد مثل كتاب ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد للفاسي، وكتب البلدان كمعجم البلدان لياقوت الحموي، وكتب المعاجم كالقاموس المحيط للفيروزآبادي، وكتب التراجم كإنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر العسقلاني، وغيرها.

صعوبات الدراسة:

واجهت الباحث صعوبات في سبيل إعداد الدراسة أبرزها وأهمّها أن ابن حجّي أورد شخصيّات غير معروفة ولا توجد لها تراجم، ومع أنّ هذه سلبيّة من جهة إلّا أنّها من جهة أخرى إيجابيّة بإخبارها عن شخصيّات مغمورة في مجتمعه الّذي عاش فيه.

ترجمة ابن حجّي:

ترجم لابن حجّي العديد من المصادر المزامنة له كابن حجر العسقلاني وتلميذه ابن قاضي شهبة وابن ناصر الدين والمقريزي وغيرهم، كما ترجم له بعض المؤرّخين المتأخرين عنه قليلاً ولم يلتقوا به كابن تغري بردي والسخاوي وابن طولون الصالحي والنعيمي وابن العماد الحنبلي وقد كانت أكثر نقولهم عن ترجمته من خلال تلميذه ابن قاضي شهبة كما صرّحوا بذلك. وقد كانت جميع الترجمات عن ابن حجّي مقتضبة ومحدودة تركّزت في شيوخه ووظائفه ومؤلّفاته وموته دون التركيز على معلومات أخرى عنه كأسرته أو حياته الخاصّة.

اسمه: هو أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن حجّي بن موسى بن أحمد بن سعد بن غشم بن غزوان بن علي بن مشرف بن تركي السعدي الحسباني الدمشقي[١]، وقد أضاف ابن ناصر الدين لهذه السلسلة الشافعي، الإمام، مؤرّخ الإسلام[٢].

مولده: وُلِد ابن حجّي سنة ٧٥١ هـ[١] **(**١٣٥٠ م**)**، وقد أجمعت جميع المصادر الّتي عرضت لولادته أنّ ولادته كانت في هذه السنة. وقد كانت ولادته بخانقاه الطواويس[٢] بالشرف الأعلى ظاهر دمشق[٣].

---

[١] ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمّد بن عمر الدمشقي، ت ٨٥١ ه: طبقات الشافعيّة، تحقيق: د. عيد العليم خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ ه، ١٠/٤.

[٢] ابن ناصر الدين، شمس الدين محمد بن عبد الله أبي بكر القيسي الدمشقي الشافعي، ت ٨٤٢ ه: التبيان لبديعة الزمان، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النوادر، سوريا، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ ه، ١٥٣٤/٣.

نشأته وشيوخه: نشأ في كنف والده علاء الدين حجّي بن موسى السعدي[٤] فأخذ عنه الفقه ولازمه نحو عشرين سنة[٥]، كما أخذه من العماد الحسباني[٦]، وقاضي القضاة بهاء الدين السُبكي[٧]، واستفاد من كثير من مشايخ العصر ومنهم: الأذرعي، وابن قاضي الزبداني، وابن خطيب ببرود، والشيخ شمس الدين الغزّي، والقاضي تاج الدين السُبكي، وشمس الدين ابن الموصلي[٨]، كما تخرّج في علوم الحديث على الحافظين ابن رافع وابن كثير[٩]، وسمع من: العماد السيرجي، وابن النجم، والصلاح بن أبي عمر، ومحمد بن المحب، وأحمد بن عمر الأنكي، ومحمّد بن أبي بكر

---

[١] المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، ت ٨٤٥ ه: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: د. محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ ه، ٣٦٨/١.

[٢] خانقاه الطواويس: هي دار للصوفيّة في حي خارج دمشق بها مسجد كبير فيه قبر السلطان دقاق السلجوقي. النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، ت ٩٧٨ ه: الدارس في تاريخ المدارس، أعدّ فهارسه: إبراهيم شمس الدين؛ دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ ه، ١٢٩/٢-١٣٠.

[٣] ابن طولون، محمّد الصالحي الحنفي، ت ٩٥٣ ه: القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة، تحقيق: محمّد أحمد دهمان، ١٣٦٨ ه، ١١٢.

[٤] حجّي بن موسى بن أحمد السعدي، الشيخ علاء الدين الفقيه الشافعي، ولد ٧٢١ ه، نشأ بالقدس ثم انتقل للشام وأخذ الفقه وسمع من مشاهير عصره كالبرزالي والجزري، وقد اعتنى بالفقه فقال عنه السبكي: فقيه الشام، مات سنة ٧٨٢ ه. ابن حجر العسقلاني: شيخ الإسلام أحمد بن علي، ت ٨٥٢ ه: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤ ه، ٦/٢-٧.

[٥] السخاوي، شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢ ه: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ه، ٢٦٩/١.

[٦] العماد الحسباني: إسماعيل بن خليفة بن عبد الغالب الحسباني الدمشقي، تفقه بالقدس ثم دمشق وبرع حتى انتهت إليه رياسة المذهب بلده مع الدين والتواضع، مات سنة ٧٧٨ ه. ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ٣٦٦/١.

[٧] بهاء الدين السبكي: أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي، كان كثير الحج والمجاورة، ولي إفتاء دار العدل، وقضاء الشام، وقضاء العسكر، وحدّث وصنّف، توفي بمكة سنة ٧٧٣ ه. ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي، ت ١٠٨٩ ه: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ ه، ٣٨٨/٨-٣٨٩.

[٨] الرضي الغزّي، رضي الدين، أبو البركات، محمّد بن أحمد بن عبد الله العامري، الشافعي، ت ٨٦٤ ه: بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ ه، ١١٥.

[٩] ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ١٢/٤.

السوقي[١]، كما سمع من: محمد بن عبد الله الصفوي، وعثمان بن يوسف بن غدير، وعمر بن أميلة، وابن النقبي،، وخلق كثير[٢]، وقد أورد الفاسي قائمة طويلة بأسماء شيوخه الّذين سمع عنهم الحديث[٣]. كما حدّث بالإجازة عن ابن قيّم الضيائيّة[٤][٥] وحصل على العديد من الإجازات العلميّة من: العلائي، والزيباوي، وابن نباتة، وخلق[٦]. وقد لاحظ الباحث استخدام بعض المترجمين لكلمة خلق وهي كناية عن كثرة شيوخه. وقد سمع أكثر مصنّفات الحديث ومنها الكتب الستّة والموطأ ومسند الدارمي وغيرها وقد ذكرها ابن طولون في قائمة وكان عدد ما سمع منها يتجاوز العشرين مصنّفاً[٧]. كما قرأ القرآن على المؤدب المقرئ شمس الدين ابن حبش وختمه في سنة سبع مائة وستين وأخذ عنه أيضاً علم الميقات[٨].كما أخذ النحو عن العتابي[٩]. وقد ذكر ابن طولون والنعيمي عدداً كبيراً من شيوخه يتجاوز ما ذُكِر أعلاه أعلاه بكثير[١٠].

---

[١] السخاوي: المصدر السابق، ٢٧٠/١.
[٢] ابن ناصر الدين: المصدر السابق، ١٥٣٥/٣.
[٣] الفاسي، محمّد بن أحمد الحسني المكّي، ت ٨٣٢ ه: ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: محمّد صالح المراد، طباعة جامعة أمّ القرى، الطبعة الأولى، ١٤١٨ ه، ٣٥/٢-٣٦.
[٤] ابن قيّم الضيائيّة: تقي الدين أبو محمّد عبد الله بن إبراهيم بن نصر الصالحي العطّار الحنبلي، أخذ أخذ عن الفخر بن البخاري، وسمع منه الذهبي وابن رافع وابن رجب، كان مكثراً مسنداً فقيهاً، توفي سنة ٧٦١ ه. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٣٢٩/٨.
[٥] ابن ناصر الدين: المصدر السابق، ١٥٣٥/٣.
[٦] السخاوي: المصدر السابق، ٢٧٠/١.
[٧] ابن طولون: المصدر السابق، ١١٤.
[٨] ابن طولون: المصدر السابق، ١١٣.
[٩] الرضي الغزّي: المصدر السابق، ١١٥.
[١٠] ابن طولون: المصدر السابق، ١١٣-١١٥؛ النعيمي: المصدر السابق، ١٠٤/١-١٠٦.

وظائفه: يبدو أنّه من أولى وظائفه الّتي تولّاها في حياة أبيه هي الإعادة في مدارس العصرونيّة والدماغيّة ثمّ أعاد في مدرسة الشاميّة البرانيّة والتقوية، ثمّ أعاد في بالأمينية والرواحية والعذراوية، كما ناب للقاضي شهاب الدين القرشي وأكثر من واحد غيره[١]، كما درّس بمدارس الحسامية الجوانية والأتابكيه والشامية البرانية[٢].

كما كان من وظائفه الّتي شغلها عدّة مرّات خطابة الجامع الأموي[٣]، كما آلت إليه رئاسة العلم بدمشق في أواخر حياته[٤].

وقد ولي في آخر عمره الخطابة ومشيخة الشيوخ وانتهت إليه المشيخة في البلاد الشامية[٥]. وقد ذكر ابن طولون نقلاً عن ابن قاضي شهبة أنّه قد ولي الخطابة ومشيخة الشيوخ مرتين[٦] دون أن يذكر متى كان ذلك. كما ذكر ابن قاضي شهبة أنّه أنّه في أواخر عمره قد ولي الخطابة ومشيخة الشيوخ شريكاً لغيره، وانتهت المشيخة في البلاد الشاميّة إليه[٧] وهو ما يعني أنّ هذا المنصب يتولاه ويقوم عليه أكثر من شيخ.

وقد ذكر المقريزي أنّه قد قدم عليهم في مصر سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) ثمّ عاد وولي خطابة دمشق، ثم لزم داره[٨] وهو ما يعني أنّه مات دون عمل دون أن يذكر متى كان لزومه لداره ويظهر والله أعلم أنّه كان قبيل وفاته بفترة قصيرة.

كما ذكر المؤرّخون أنّ من وظائف ابن حجّي أنّه كان ناسخاً للكتب فقد كتب ما لا يحصر عدده[١]، وبالإضافة لذلك كان يتمتع بحسن وجمال الخط[٢]. كما ذكرت

---

[١] ابن طولون: المصدر السابق، ١١٥.
[٢] ابن طولون: المصدر السابق، ١١٥.
[٣] ابن حجر العسقلاني، شيخ الإسلام أحمد بن علي، ت ٨٥٢ ه: إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: د. د. حسين حبشي، القاهرة، ١٣٨٩ ه، ٢٧٠/١.
[٤] ابن حجر: المصدر السابق، ٢٧٠/١.
[٥] الرضي الغزي: المصدر السابق، ١١٥.
[٦] ابن طولون: المصدر السابق، ١١٥.
[٧] ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ١٣/٤.
[٨] المقريزي: المصدر السابق، ٣٦٨/١.

المصادر أنّه قد ناب في الحكم[٣] أي أصبح نائباً عن دمشق ولكن لم تذكر شيئاً عن ذلك وعن الفترة الّتي قضاها في هذا المنصب أو متى كان ذلك.

كما كان من ووظائفه الفتوى فقد ذكر ابن قاضي شهبة أنّه قد أفتى[٤] ويبدو أنّ فتاواه كانت شفهيّة للعامة ومكتوبة للدولة إذ ذكر الرضي الغزّي أنّه كان يكتب على الفتوى كتابة حسنة حساً ومعنى[٥] ذلك أنّ العامة ليسوا بحاجة للفتاوى المكتوبة فعامة الناس تكفيهم الفتوى الشفهيّة، كما يُفهم من عبارة الرضي الغزّي أنّ فتاواه المكتوبة قد كتبها بخطه الجميل فقد أشار الباحث أعلاه أنّه كان ناسخاً وقد كان خطه جميلاً.

ومع المكانة العلميّة المرموقة لابن حجّي إلّا أنّه رفض تولّي منصب القضاء الّذي عُرِض عليه عدّة مرّات ويبدو أنّ المنصب المعروض عليه لم يكن منصب قاضي عادي ولكنه منصب قاضي القضاة للشافعيّة في دمشق لأنّ ابن حجر عبّر عن ذلك بقوله: امتنع عن قضاء الشافعيّة مراراً[٦] وهي عبارة يستشف منها ذلك.

مؤلّفاته: ضاع جميع تراث ابن حجّي ولم يتبقَ منه إلّا تاريخه، الّذي يتناول الباحث منهجه فيه، ولم يذكر المؤرّخون إلّا كتابين لابن حجّي هما: تاريخه، و كتاب الدارس في أخبار المدارس وهو كتاب قيّم أشاد به بعض المؤرّخين ولكنه احترق في الحرب مع التتار[٧]، أمّا بقيّة تراث ابن حجّي فقد كانت كراريس وتعليقات وشروح لا ترقى أن تكون كتباً، وقد ذكر المؤرّخون منها: تعليقاً على الألغاز للأسنوي[٨]، وشرح قطعة من

---

(١) ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ١٢/٤؛ الرضي الغزي: المصدر السابق، ١١٥.
(٢) ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ١٢/٤؛ الرضي الغزي: المصدر السابق، ١١٥.
(٣) ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ١٢/٤؛ الرضي الغزي: المصدر السابق، ١١٥.
(٤) ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ١٣/٤.
(٥) الرضي الغزّي: المصدر السابق، ١١٥.
(٦) ابن حجر: المصدر السابق، ٢٧٠/١.
(٧) ابن طولون: المصدر السابق، ١١٥.
(٨) المقريزي: المصدر السابق، ٣٦٨/١.

المحرّر لابن عبد الهادي[١]، كما جمع فوائد من علوم متفرّقة في كراريس متعدّدة أسماها جمع المفترق[٢] بمعنى أنّه جمع هذه الكراريس المتفرّقة فيه. كما ذكر قائمة بأسماء شيوخه دون التعريف بهم على حروف المعجم[٣].

موته: مات ابن حجّي في شهر محرّم من سنة ٨١٦ هـ[٤] (١٤١٣ م)، وتاريخ وفاته متفق عليه عند جميع المؤرّخين.

الخطة العامّة للكتاب وتنظيمه:

يعتبر التنظيم الّذي سلكه ابن حجّي في تاريخه تنظيماً واضحاً ومتوازناً فقد قسّم الكتاب على حسب السنين الّتي غطّاها فكل سنة تمثل وحدة رئيسية تحتها وحدات فرعيّة هي عبارة عن أشهر السنة الهجريّة الإثني عشر. وقد تناول السنوات من ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) إلى سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) دون أن يسقط أي سنة منها فجعل كل سنة موضوعاً مستقلاً، وكان يعنون له برقم السنة فيقول عن سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) مثلاً: سنة ست وتسعين وسبعمائة[٥] واستمر على هذا المنوال حتى نهاية الكتاب، كما كما جعل كلّ شهر من أشهر السنة في عنوان رئيسي ومستقل عن الشهر الّذي قبله أو بعده فكان تنظيمه متشابهاً ومتماثلاً فكل سنة هي نسخة من السنة الّتي قبلها وكذلك الأشهر.

وقد كانت خطّة ابن حجّي أنّه يبدأ حديثه عن السنة بذكر الوظائف العليا في الدولة خلال هذه السنة وما طرأ عليها من تغييرات، فيذكر اسم الخليفة، ثم اسم السلطان

---

[١] ابن حجر: المصدر السابق، ١/ ٢٧٠.

[٢] ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعيّة، ١٢/٤.

[٣] ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ١١/٤.

[٤] السخاوي: المصدر السابق، ٢٧٠/١-٢٧١.

[٥] ابن حجّي، أبو العبّاس أحمد بن حجّي السعدي الحسباني الدمشقي، ت ٨١٦ ه: تاريخ ابن حجّي، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ ه، ٣٥/١.

المملوكي الذي كان يحكم، ويذكر نائب الشام، كما كان يذكر أحياناً بعض نوّاب البلدات الشامية كالقدس وحماة وحلب وطرابلس وصفد والكرك، وكان يذكر قضاة المذاهب الأربعة في الشام وفي مصر أحياناً، كما كان يذكر في بعض الأحيان كاتب السر، وناظر الجيش، والمحتسب، وقضاة العسكر، والحجّاب. ولم يكن يذكر شاغلي أكثر هذه الوظائف باستمرار عدا الخليفة والسلطان المملوكي وقضاة الشام الّذين يذكرهم إن حصل عزل لأحد منهم وبمن تم استبداله.

ثمّ بعد أن ينتهي من ذكر أصحاب الوظائف يبدأ بذكر الأشهر الهجريّة بالترتيب ويضع كل شهر في عنوان مستقل، وقد لا حظ الباحث أنّه قد ذكر جميع الأشهر في الفترة الزمنيّة الّتي تناولها الكتاب من سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) وحتى سنة ٨١٥ هـ (١٤١٣ م) عدا شهر ذي الحجّة من سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) فلم يذكر شيئاً عنه وقد ذكر المحقّق في الحاشية أنّ هذا الشهر قد سقط من هذه السنة[1]، ولا يظهر سبباً لذلك إلا أنّه ربّما تكون سقطت وقائعه من المخطوط، أو ربّما لم تكن فيه أحداث يستحق الوقوف عندها ولكن هذا الاحتمال ضعيف لأنّه كان يذكر الحالة الفلكيّة لكل شهر ويرصد رؤية الهلال خاصة وأنّه يترتب على ذلك موسم الحج، وكان يذكر من أمّ النّاس في صلاة العيد في دمشق ومن حضرها من المسؤولين.

وقد كان يستهل الحديث عن كل شهر بذكر الحالة الفلكيّة في هذا الشهر، ثمّ يبدأ بذكر أحداث هذا الشهر من الأقدم إلى الأحدث فكان تنظيمه لأحداث كل شهر أنّه يستهل الحديث فيه بذكر المصادف له من أيّام الأسبوع ورقم اليوم بصيغة: ويوم الجمعة خامسه، أو يوم الخميس حادي عشره، أو ليلة الأحد حادي عشريه على سبيل المثال. وما يلفت الانتباه هنا أنّه كان يقسّم الشهر إلى ثلاثة أعشار: ففي العشر الأوّل يذكر رقم اليوم بحسب الترقيم المعتاد: أوّله، ثانيه، ثالثه، وهكذا. وفي العشر

[1] ابن حجّي: المصدر السابق، ٨٦٩/٢.

الثاني أو الأوسط يذكر حادي عشره، ثاني عشره، ثالث عشره، وهكذا، وأحياناً يستخدم ال التعريف فيقول الحادي عشر، أو الثاني عشر، إلخ دون وجود ضابط لاستخدام الصيغتين. أمّا العشر الثالث فكان يذكره: العشرين، حادي عشريه، ثاني عشريه، ثالث عشريه، إلخ. وكان ينعت اليوم الخامس عشر أو ليلته: نصفه أو منتصفه، وكان يذكر الثلاثين من الشهر بقوله: آخره.

أمّا تنظيمه للوفيّات فقد كان يختم حديثه عن بعض الأشهر وليس كلها بذكر الوفيّات في هذا الشهر ويضع عنواناً لذلك: وممن توفي فيه. ومع أنّه خصّص عناوين لوفيّات أكثر الأشهر إلّا أنّ الأشهر الّتي لا يذكر في نهايتها وفيّات فإنّه يذكر وفيّاتها في تسلسل أحداث الشهر وأخباره فيذكر في أيّ يوم وقعت الوفاة والمصادف لها من أيّام الأسبوع. ولا يظهر للباحث سبباً لتنظيم ابن حجّي لذكر الوفيّات بهذه المنهج المتذبذب وكان الأجدر به تخصيص منهجه إمّا بذكر جميع الوفيّات تحت عناوينها أو دمج الوفيّات ضمن أحداث الشهر دون تخصيص عناوين لها.

كما سلك ابن حجّي تنظيماً آخراً في ذكر الوفيّات فكان يختم حديثه عن أكثر السنين الّتي غطاها الكتاب بعنوان: ممن توفي فيها ويذكر أسماء فقط دون تعريف بهم وأحياناً يعرّف ببعضهم بمعلومة أو معلومتين، ويظهر للباحث أنّه اتّبع هذا المنهج في ذكر وفيّات السنة في نهايتها أنّه لا يعلم متى وقعت الوفاة أو في أي أشهر السنة كانت ولكن ثبت عنده أنّ الوفاة قد وقعت في هذه السنة.

محتويات الكتاب ومادّته العلميّة:

لقد تنوّعت المادة العلميّة في تاريخ ابن حجّي فكان لها أشكالاً عديدة وهي في غالبها أحداثاً تاريخيّة وحضاريّة غير أنّها لا تخلو من الأخبار في المجالات الأخرى كالطقس والتعيينات والمناصب الإداريّة وأخبار الطاعون والأسعار والمعاملات

التجاريّة وغيرها، وفيما يلي سيحاول الباحث تصنيف محتويات الكتاب ومادّته العلميّة وسيكون الحديث عنها بحسب أولويّة العثور على المعلومة

التقويم وأحوال المناخ والطقس:

ذكر ابن حجّي مصطلح التقويم[١] وهو ما يوحي أنّ هذا المصطلح كان مستخدماً في وقته بالإضافة إلى أنّ التقويم كان موجوداً ومكتوباً ومعمولاً به. فكان يستهل كلّ شهر هجري بذكر أوّل أيّامه من أيّام الأسبوع، وكم يصادف من أشهر السنة الميلاديّة، وكم يصادف من أبراج السنة الهجريّة الشمسيّة، كما كان يذكر أحياناً المصادف له من تاريخ الإسكندر ذي القرنين ويذكر أشهر تاريخ الإسكندر بالأرقام وليس بالأسماء فيقول الشهر الأوّل من شهور السنة الروميّة[٢] نسبة إلى روما الّتي قدم منها الإسكندر، كما كان يذكر في بعض الأوقات المصادف لأوّل الشهر من الأشهر الفارسيّة[٣]، وكذلك المصادف له من أشهر القبط[٤]. ويظهر من تتبّع ابن حجّي للتقاويم المشهورة والدارجة في وقته أنّ لديه معرفة جيّدة بعلوم الفلك وما يثبت ذلك نّه خصّص باباً لمبتدأ السنة الهجريّة في بداية حديثه عن شهر محرّم سنة ٧٩٩ هـ (أكتوبر ١٣٩٦ م) وأورد آراء العلماء، كابن جرير الطبري، وابن عساكر، والسهيلي، وغيرهم، وذكر اختلافاتهم في مبتدأ السنة الهجريّة والمقابل له من سنين الإسكندر وأخذ يقارن ويرجّح في ذلك[٥]، والمجال لا يتّسع هنا لمناقشة ذلك. كما اهتمّ كثيراً برؤية الهلال وإثبات دخول الأشهر الهجريّة وكان يذكر الخلاف إن حصل وثبوت

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٩٣.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٩٥.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٤٤٨.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٩٦.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق،١٩٥-١٩٦.

الرؤية بل وكان يتراءى الهلال بنفسه[١]. كما ذكر أن السنة الكبيس، بالتذكير وليس بالتأنيث، يكون فيها شباط ٢٩ يوماً[٢]. كما رصد ابن حجّي حالات الخسوف والكسوف إن وقعت في الشهر الّذي يتحدّث عنه[٣]. كما كان يغطي أخبار نزول المطر والبرَد والجفاف وكذلك البْرد الشديد[٤] بشكل دقيق. كما تطرّق لزيادة النيل ومستواه عدّة مرّات بحديث مقتضب[٥]. كما تطرّق لقلّة الماء وشحّه فقد ذكر في شهر شهر محرّم سنة ٨٠٠ هـ (أكتوبر ١٣٩٧ م) أنّ هذه السنة قد استهلّت بقلّة شديدة في الماء بسبب يباس قني وأعين كثيرة ونقص في عيون الماء[٦] . كما ذكر أيّام العجوز وهي تصادف في تتبّع السنة الميلاديّة من خلال تاريخ ابن حجّي ٢٦ شباط فيذكر أنّها قد تميّزت بالهواء والبرد العاصف في أيّامها وبعض لياليها[٧]، وبرد العجوز هي أيّام مشهورة في وقتنا الحاضر ويستخدم المصطلح عند العامّة وتكون في أواخر شباط وأوائل آذار وهي مشهورة بموجات البرد القارس وهو ما يعني أنّ هذا المصطلح القديم ما زال يستخدم وبنفس المعنى. كما ذكر هجمات الجراد[٨] ولم يفصّل فيها إلّا مرّة واحدة ذكر أنّ الجراد قد عمّ الشام كلها فقد هاجم دمشق وعجلون والبلقاء والقدس والخليل وبيت لحم ونابلس وحوران وغيرها وقد رأه بعينه كيف ينزل على الشجرة ويجعلها جرداء وكان هو وقتها في نابلس وعند عودته إلى دمشق ذكر أنّه لم يمر بأرض في طريقه إلّا وقد خرّبها الجراد[٩].

أحوال اليهود والنصارى:

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٧،٩٣، ١٢٧، ٤٢٧، ٧٥٠، ٨٢١.
[٢] ابن حجّي المصدر السابق، ٦٠٠.
[٣] ابن حجّي المصدر السابق، ١٥٢، ١٧٩، ٣٢٦، ٩٦٠.
[٤] ابن حجّي المصدر السابق، ٨٢، ١٠٢، ٢٢٤، ٣٣٢، ٤٢٧، ٥٣٥، ٦٢٢، ٧٧٦، ٨١٦.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ٢٥٩، ٢٩٩، ٤٤٨، ٦٣٠.
[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ٢٥٩.
[٧] ابن حجّي المصدر السابق، ٤٠٦.
[٨] ابن حجّي: المصدر السابق، ٤٨٦، ٥١٩.
[٩] ابن حجّي: المصدر السابق، ٤٩٨-٤٩٩.

وقد تناول طرفاً من أخبارهم فقد ذكر أنّ النصارى لم يحتفلوا بعيد الميلاد في سنة ٧٩٨ هـ (١٣٩٥ م) في توقيته وإنّما احتفلوا فيه ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأوّل[١]، ولم يعلّق ابن حجّي على ذلك، وقد يفهم من سياقه أنّ تأجيل النصارى للاحتفال قصدوا فيه صرف النّاس عن المولد النبوي. كما ذكر أنّ ١٤ محرّم سنة ٧٩٨ هـ (١٣٩٥ م) وافق أوّل مظلّة اليهود[٢]، ولم يذكر تعريفاً بها، وعند البحث في محرّك البحث جوجل وجد الباحث أنّ هذا العيد يسمّى عيد المظلة أو عيد العرش وهو من الأعياد الدينيّة الّتي مازال اليهود يحتفلون بها ويستمر سبعة أيّام. كما ذكر أنّ صوم النصارى في سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ م) قد بدأ في الخامس من شهر جمادى الآخرة الموافق للخامس من آذار وذكر أنّهم يصومون شهراً ونصف أي ٤٥ يوماً[٣]. كما أورد أنّه صدر أمر قاضي القضاة والمحتسب في شهر رجب سنة ٨٠٠ هـ أنّ أهل الذمّة لا يدخلون الحمّام إلّا وفي أعناقهم أجراس[٤]، والمقصود بالحمّام على الأرجح الحمّامات العموميّة الّتي تشتهر بها دمشق، ولم يذكر ابن حجّي السبب في اتّخاذ هذا الإجراء الّذي يظهر أنّه نوع من العقاب. ومع ذلك ذكر ابن حجّي أنّ قاضي القضاة قد طلب المحتسب وعزّره لأنّه ضرب يهوديّاً حتى أدماه بدون سبب موجب لذلك[٥]، وهذا يثبت حسن معاملة أهل الذمّة في وقته. كما ذكر أنّ الثامن من نيسان قد صادف خميس النصارى في ٢٢ من شهر شعبان سنة ٨٠٣ هـ[٦] (١٤٠١/٤/١٥ م)، ولم يعلّق على ذلك. ثمّ ذكر أنّ النصارى قد احتفلوا بخميسهم في ١٣ نيسان الموافق لـ ١٤ من ذي القعدة سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٨/٤/١٣ م) ، وقد عرّف

(١) ابن حجّي: المصدر السابق، ١٥٢.
(٢) ابن حجّي: المصدر السابق، ١٩٠.
(٣) ابن حجّي: المصدر السابق، ٢١٧.
(٤) ابن حجّي: المصدر السابق، ٢٨٢.
(٥) ابن حجّي: المصدر السابق، ١٥٩.
(٦) ابن حجّي: المصدر السابق، ٤٩٠.

المحقّق بخميسهم أنّها أيّام حافلة بأعياد النصارى في مصر وتبدأ بعيد القيامة وتستمر خمسين يوماً[١].

النواحي والقضايا الدينيّة:

وقد كان ابن حجّي يعرض لإقامة الشعائر الدينيّة ، كصلاة الغائب[٢]، وصلاة الاستسقاء[٣]، وصلاة الجنازة[٤]. كما كان يعرض لبناء الجوامع الجديدة، وقد أورد باباً باباً مقتضباً عن الجامع الأزهر وبعض جوامع القاهرة تعقيباً على بناء الجامع الأقمر فيها[٥]. كما ذكر بناء تربة ومسجد ولم يذكر اسمه أو موقعه ولكن ذكر أنّ النائب قد استولى على أرضه[٦] وهوة ما يعني أنّ ذلك كان في دمشق. كما ذكر بناء جامع التوبة في دمشق[٧]. كما ذكر بناء منبر جديد[٨] ولم يذكر المسجد الّذي بُني فيه هذا هذا المنبر وهو على الأرجح الجامع الأموي. كما كان ابن حجّي يذكر طرفاً من الأحكام الشرعيّة الّتي تنفّذ كقتل القاتل حدّاً[٩]، ورجم الزاني[١٠]، وقتل من سبّ النّبي ﷺ[١١]، ومن سبّ أمّهات المؤمنين رضي الله عنهن[١٢].

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٨٢٧.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٧.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٢١٩.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٧٢.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ٢٤٩-٢٥٠.
[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ٤٠٦.
[٧] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦١٥.
[٨] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٥٢.
[٩] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٩.
[١٠] ابن حجّي: المصدر السابق، ٩٨٥.
[١١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٩١.
[١٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٥١.

الأحوال الاقتصاديّة: وقد حظيت الأوضاع الاقتصاديّة بنصيب لا بأس به من الكتاب فقد رصد الأسعار وما يطرأ عليها من ارتفاع أو انخفاض[١] بشكل دقيق وكثيف، كما كان يذكر ضرب العملة[٢] وتعديل قيمتها[٣]، كما ذكر نقص السلع وزيادتها كالقمح[٤] كالقمح[٤] والورد[٥] والمشمش[٦] وغيرها، كما تناول إبطال المكوس[٧]، كما ذكر بناء بناء بعض القيساريّات[٨].

أخبار وفود الحجّ: وقد غطّى في أخباره خروج الحجّاج وعودتهم وصبّ تركيزه على حجّاج دمشق وحلب وهو على الأرجح ما أسماه: وفد الحاج الشامي[٩]، وقد رصد في في أخبارهم خروج الوفد وعودتهم وبعض ما حصل لهم في الطريق[١٠].

المناصب الإداريّة:

وقد ركّز ابن حجّي في أخباره كثيراً على القضايا الإداريّة وما يتعلّق بها من تعيين[١١]، وإعادة تعيين[١٢]، وعزل[١٣]، والتنازل عن المنصب[١٤]، وتبديل موظفي الدولة[١٥]، وتزوير التعيينات[١]، والسعي في سبيل الحصول على منصب[٢]، وما رافق

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٧، ١٠٢، ١٦٩، ٢٤٠، ٣٣٨، ٤٢٧، ٥٤٢، ٦٠٢، ٧٢٤، ٨٧٢، ١٠١٦.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٠، ١٩٨، ٣٢٦، ٦١٤، ١٠١٦.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥١٨.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٢٥.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٦٩.
[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ٨٧٢.
[٧] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦١١، ١٠٠٦.
[٨] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٩١، ٥٩٦.
[٩] ابن حجّي: المصدر السابق، ٩١٧.
[١٠] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٨، ٧٣، ٢٥٩، ٢٩٩، ٣٨٠، ٨٣٤، ٩٢٦، ٩٣٠.
[١١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٥، ٨٠، ٩٣، ١٠٢، ١٢٣، ٢٨٢، ٤٢٩، ٧٧٦،
[١٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٨٥، ٦١٢، ٧٣٤، ٨٣٩.
[١٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٨٢، ١٧٩، ٢١٧، ٣٧٩، ٤٤٩، ٥١٨، ٥٤٦، ٦١٠.
[١٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ١١٦،
[١٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٣٢.

رافق ذلك من القبض على موظفي الدولة والتحقيق معهم ومحاكمتهم[٣]. وقد غطّى ابن حجّي المناصب الإداريّة بشكل كبير وتكاد تكون أغلب مادّة الكتاب العلميّة تغطيةً لها فتعرّض لها بتوسّع ولا يبالغ الباحث لو ذكر أنّه لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من الأخبار الإداريّة.

الطاعون:

وقد كان يذكر ظهور الطاعون وانحساره وبعض أخباره[٤] ولكن لم يكن يفصل فيها كثيراً، ويبدو أنّ هذه الأوبئة الّتي ذكرها كانت محليّة ولم تنتشر كثيراً فأوّل ذكر للطاعون في الكتاب ذكر أنّه قد ظهر الموت بالطاعون في الصالحيّة في شهر رجب سنة ٧٩٦ هـ[٥] (مايو ١٣٩٤ م) دون أن يذكر شيئاً آخراً عنه واستمرّ على هذا المنوال في ذكر الطاعون. ويبقى الخبر الأبرز عن الطاعون ما ذكره عن ابن غراب أنّه كان في الوباء الّذي وقع بين شهري رجب وذي القعدة سنة ٨٠٦ هـ (١٤٠٤ م) يكفّن كل يوم نحو مائتين ويكسو ما بين ٥٠ و٦٠ قمصاناً جديدة ويذبح كلّ يوم بقرة ويطبخها ويفرقها مع ١٥٠٠ رغيف، كما ذكر أنّ بعض الأمراء كانوا يكفّنون الموتى ثمّ توقفوا لما طال بهم ذلك إلّا ابن غراب الّذي رفض ترك ذلك ولو نفذ كلّ ماله[٦].

أخبار السلطان:

وقد أورد أخباراً متنوّعة عن السلطان ولم يفصّل فيها كثيراً كرحلاته[٧]، ومراسيمه[٨]، وهداياه[٩]، ومراسلاته[١]، ومولوده[٢]، وزواجه[٣]، وغيرها. وقد أورد عن موضوعاً عن

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٦٠.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٨، ٢٣٦، ٤٤٨، ٥٩٦.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٠، ٦٢، ٩٠، ٥٥٤، ٦١٤، ٨٧٢.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٩، ١٦٩، ٢٤٠، ٣٠٨، ٦٣٠، ٧٧٤، ٧٩٣، ٩٢٥-٩٢٦، ٩٦٧.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٩.
[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٣٠.
[٧] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٣، ٨٢، ٩٠، ٨٧٦، ٩١٦.
[٨] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٢٧، ٥٣٦.
[٩] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦١٢.

عن سيرة الظاهر برقوق بعد وصول خبر وفاته في شوّال سنة ٨٠١ هـ[٤] (يونيو ١٣٩٩ م) وتتميّز هذه السيرة بوضوحها واختصارها. كما أورد موضوعاً عن خلع الخليفة العبّاسي للناصر فرج وتوليّه مكانه ثمّ قتله، ولم يفرد لهذا باباً مستقلّاً وإنّما ذكر الأخبار عن ذلك بحسب وقوعها في أيّام شهري محرّم وصفر من سنة ٨١٥ هـ[٥] (١٤١٢ م)، بمعنى أنّه تخلّلها أخباراً أخرى ليست ذات علاقة بالخلع. ثمّ ذكر أنّ بيعة الملك المؤيّد شيخ قد وقعت في الأوّل من شوّال سنة ٨١٥ هـ (١٢يناير ١٤١٣ م) دون أن يذكر شيئاً آخراً حولها[٦].

الوفيّات:

تميّز حديث ابن حجّي عن الوفيّات بالاختصار الشديد فلم يكن يطيل الحديث فيها، فعلى سبيل المثال: في وفيّات محرّم سنة ٧٩٧ هـ بعد أن عنون لها: وممّن توفّي فيه ذكر: (الأمير قردم وكان من أعيان الأمراء بالقاهرة مقدماً عند السلطان ثمّ أنّه غضب عليه ثمّ صار أميراً بدمشق فمات ببيت ابن الجنبغا يوم الخميس رابع عشريه)[٧] فقد اكتفى هنا بمعلومات يسيرة ومختصرة على شكل رؤوس أقلام ذكر فيها المحطّات المهمّة في حياته. كما ذكر في وفيّات سنة ٨٠٦ هـ (١٤٠٣-١٤٠٤ م) الّتي ختم بها الحديث عن السنة القاضي جمال الدين النحريري[٨] ولم يذكر عنه شيئاً آخراً عنه

(١) ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٢٢.
(٢) ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٣٤.
(٣) ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٦٠.
(٤) ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٥٨-٣٦٢.
(٥) ابن حجّي: المصدر السابق، ١٠٠٨-١٠١٣.
(٦) ابن حجّي: المصدر السابق، ١٠٢٩.
(٧) ابن حجّي: المصدر السابق، ٩٢.
(٨) ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٣٦.

أو يعرّف به وإنّما اكتفى بذكر مهنته كقاضي وقد استمرّ ابن حجّي على هذا التنظيم لوفيّات السنين الّتي ذكر في نهايتها وفيّات.

منوّعات:

وقد وردت في الكتاب أخباراً كثيرة متفرّقة ومتنوّعة لا تمت لما سبق بصلة فرأى الباحث وضعها تحت هذا العنوان حيث أنّ المتشابه منها لا يتكرّر كثيراً، ومن ذلك: ذكر زواج بعض وجهاء الدولة[١]، وحدوث حريق[٢]، وولادة مولود لبعض الوجهاء[٣]، الوجهاء[٣]، وولادة مولودين متلاصقين[٤] أو سياميّين باللّغة الدارجة في وقتنا الحاضر، وكذلك عمارة الحرم[٥]، وبعض حوادث قطع الطريق[٦]، وغير ذل

مصادره:

يعتبر تاريخ ابن حجّي من كتب التاريخ الّتي زامن مؤلّفها الأحداث الّتي ذكرها فهو معاصر لها، لذلك لم يكن هناك مصادر كتابيّة أخذ عنها فالباحث لم يلحظ أنّ ابن حجّي قد أسند شيئاً من الأحداث لمصدر من المصادر المكتوبة، وقد لاحظ الباحث واستنتج أنّ لابن حجّي في كتابه ثلاثة مصادر فقط، وهي:

أحداث وقعت لابن حجّي نفسه:

فقد كان يذكر الخبر ويورد ما يشير إلى أنّه كان طرفاً فيه، وعلى سبيل المثال ذكر انّه هناك دعوى قد أقيمت على الباعوني[٧] ذكر تفاصيلها واستطرد حولها قائلاً: وأرسلوا خلفي فحضرت، ثمّ بيّن أنّ القضاة لم يجتمعوا بسبب انشغال النّاس بموسم

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ١١٧، ١٤٣، ١٠٣٦.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ١١٧، ٣١٣، ٤٥٠، ١٠٠٦.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٤٣٠، ٦١٨.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٧٦.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٢٥.
[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٢٥، ٥٣٩.
[٧] الباعوني: هو إبراهيم بن ناصر بن أحمد الشافعي، قاضي القضاة في دمشق، ولِد سنة ٧٧٧ ه، كان بارعاً في الإنشاء والأدب، مات سنة ٨٧٠ ه، وكانت جنازته حافلة بالأمراء والأعيان. السخاوي: المصدر السابق، ١/٢٦-٢٩.

الحلوى فانفضّ الاجتماع[١]. كما ذكر رحلة له إلى بعلبك والكرك استمرّت زهاء تسعة أيّام ولم يذكر تفصيلاً حولها سوى أنّه ذكر فيها تقسيم وقف هناك حضره ثمّ عاد[٢]. كما ذكر رؤيته لهلال صفر من سنة ٧٩٧ هـ (ديسمبر ١٣٩٤ م) فقد قال: أوّله الخميس، رأيت الهلال ليلتئذ عالياً[٣]، كما ذكر في مباشرة القاضي تاج الدين بن الزهري[٤] لمشيخة خانقاه الطواويس الّتي انتزعها من شمس الدين الصالحي[٥] فذكر تفاصيلها وكان يتحدث بصيغة الشاهد والمراقب: (أثبت عندي)[٦] أكثر من مرّة، ومع ذلك لم يذكر منصبه أو مكانته في هذه الحادثة كي يتمّ الإثبات عنده ويظهر للباحث أنّه كان شاهد حال فقط. كما ذكر أنّه قد توجّه إلى جرود[٧] لقسمة حصة المدرسة الركنيّة فيها وكان معه شاهدان من الفقهاء[٨]. كما ذكر عن صلاة عيد الأضحى سنة سنة ٨٠١ هـ (٢٠ أغسطس ١٣٩٩ م) أنّه قد صلّى وخطب بالجامع الأموي بحضور نائب دمشق[٩]. كما ذكر أنّه في أثناء نومه جاءت زلزلة وهو نائم فأيقظه اهتزاز السقف وصوته وكانت لحظة[١٠]. كما ذكر أنّه باشر التدريس في المدرسة الشاميّة

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٠.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٩.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٩٣.
[٤] تاج الدين بن الزهري: عبد الوهاب بن أحمد بن صالح البقاعي قاضي قضاة الشافعيّة في دمشق، ولِد سنة ٧٦٧ ه، قام بالتدريس في عدد من مدارس دمشق، وأفتي، كان ديناً وصاحب صلاة وعبادة لا يتكلم إلا بخير، توفي سنة ٨٢٤ ه. الرضي الغزّي: المصدر السابق، ٢١٢-٢١٤.
[٥] شمس الدين الصالحي: لم يعثر الباحث على ترجمة واضحة له بسبب كثرة من يحملون هذا اللّقب. اللّقب.
[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ٩٤.
[٧] جرود: من أعمال غوطة دمشق. ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي الرومي البغدادي، ت ٦٢٦ ه: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ ه، ١٣٠/٢.
[٨] ابن حجّي: المصدر السابق، ٢٤٨.
[٩] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٧٠.
[١٠] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٨٠.

الجوانيّة[١]. كما ذكر أنّه أخبره من يثق به دون أن يذكر اسمه أنّ رجلين في الصالحيّة قد اجتمعا على شراب وأصبحا محترقين[٢].

البريد:

وقد كان البريد الرسمي مصدراً مهمّاً من مصادر ابن حجّي، وقد لاحظ الباحث من خلال سياق حديثه عنه أنّ البريد الرسمي يستخدم لنقل المكلّفين بتنفيذ بعض الأعمال والتكليفات، فقد ذكر ابن حجّي مثلاً أنّ فخر الدين المعروف بكاتب ابن أقبغا[٣] وصل وصل على البريد فأقام في دمشق خمسة عشر يوماً حتى قضى مآربه ثمّ عاد إلى القاهرة[٤]، ولم يذكر ابن حجّي شيئاً من مآربه ولكن من سياق النص يظهر أنّها مهمّة مهمّة رسميّة من السلطنة في القاهرة. كما ذكر أنّ علاء الدين ابن السنجاري[٥] قد قدم على البريد لتهيئة إقامة العساكر المصريّة القادمة لمنع المغول من مهاجمة الشام[٦]. وكذلك كان البريد يستخدم لنقل خطابات التعيين والأوامر الرسميّة وكلّ ما يتعلّق بالدولة، كتعيين القاضي الحنفي جمال الدين ابن القطب النحّاس[٧] في الزنجيليّة[٨]. كما ذكر أنّ البريدي جاء بكتاب السلطان بترميم قلعة دمشق وتوسعة المدينة خارج البلد[٩]. كما كان البريد ينقل الأخبار والتطوّرات في مقر السلطنة كتمرّد

---

[١] المدرسة الشاميّة الجوّانيّة: أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيّوب، وقد درّس فيا عدد كبير من العلماء من بينهم أبو عمرو بن الصلاح. النعيمي: المصدر السابق، ٢٢٧/١-٢٣٦.

[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٩٢٥.

[٣] كاتب ابن أقبغا: لم يفلح الباحث في العثور على ترجمة له لأنّ اسم أقبغا شائع ويوجد عدد من الأمراء يحملون هذا الاسم.

[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٠٧.

[٥] علاء الدين ابن السنجاري: لم يعثر الباحث على ترجمة لهذا الرجل ويبدو أنّه أحد موظفي الدولة. الدولة.

[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ٤٥٠.

[٧] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٨٥.

[٨] الزنجيليّة: مدرسة أنشأها فخر الدين عثمان الزنجيلي في دمشق خارج باب توما سنة ٦٢٦ ه، وتعرف أيضاً بالمدرسة الزنجاريّة. النعيمي: المصد السابق، ٤٠٤/١-٤٠٦.

[٩] ابن حجّي: المصدر السابق،٩٨٥.

بعض الأمراء[١]. وقد كان منهجه في النقل عن البريد أنّه كان يذكر أحياناً عبارة: جاء البريد بـ[٢]، أو جاء بريدي[٣]، أو وصل بريدي[٤]، وما هو على شاكلتها وهي تحتمل أحد أمرين: إمّا أنّ البريد خاص بابن حجّي كموظف من موظفي الدولة وهو أمر مستبعد فلا يعقل أن يكون لكلّ موظف حتّى وإن كان كبيراً بريدٌ خاص به، أو أنّ المقصود موظف البريد نسبة إلى البريد وهو الأرجح.

أحداث لم يذكر مصدره فيها:

وهو غالباً إمّا البريد، أوّ أنّها حدثت له أو بقربه دون أن يشير إلى نفسه في سياق الحديث عنها، أو ربّما يكون سمعها من مسؤولين أو أشخاص عاديّين من العامّة، ولن يطيل الباحث في الحديث عن ذلك لأنّها كثيرة وكلّ خبر منها يحتمل هذه الفرضيّات.

المنهج العامّ للكتاب:

كان منهج ابن حجّي في تاريخه منهجاً حولياً بامتياز، فقد قسّم الكتاب على حسب السنين من سنة ٧٩٦ هـ إلى سنة ٨١٥ هـ (١٣٩٣–١٤١٣ م)، وهو منهج دارج عند المؤرّخين المسلمين ولكن الميزة الّتي امتاز بها أنّه كان منهجاً شهريّاً، إن صحّ التعبير، بمعنى أنّه قد تتبّع الأخبار والأحداث بحسب الأشهر أيضاً فتتبّع جميع الأشهر خلال الفترة الزمنيّة الّتي غطّاها الكتاب بدءاً من شهر محرّم وحتى شهر ذي الحجّة من كلّ سنة. وقد غطّى ابن حجّي جميع الأشهر الهجريّة وأورد أحداثاً وقعت فيها خلال الفترة الزمنيّة الّتي غطّاها الكتاب، وتوقّف عند شهر ذي القعدة سنة ٨١٥

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٩٨٨.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣١٩.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٨٥.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٤١٠، ٩٨٥.

هـ (فبراير ١٤١٣ م) بمعنى أنّه لم يغطِ هذه السنة كاملة، ومع أنّ ابن حجّي قد غطّى الأشهر كاملة الّتي تقع في النطاق الزمني للكتاب إلّا أنّه حصل تجاهل أو نسيان لشهر ذي الحجّة سنة ٨١١ هـ (أبريل ١٤٠٩ م)، وقد سبق مناقشة ذلك في الخطّة العامّة للكتاب وتنظيمه.

طريقة الكتابة:

عند النظر إلى كتابة ابن حجّي لتاريخه يظهر أنّها كتابة جيّدة ومفهومة في متناول القارئ العامّي فقد كان

يبدأ بالحديث عن السنة مستخدماً عبارة استهلّت، ثمّ يذكر اسم الخليفة، ويذكر اسم السلطان وقد يصفه أحياناً بصفات مختلفة مثل: سلطان الإسلام[١]، وسلطان مصر والشام والحجاز وغير ذلك ممّا هو مضاف إليها[٢]، ثمّ يذكر نوّاب الملك في مصر والشام فيقول ونائبه بالديار المصريّة[٣] ثمّ يذكر اسمه، وإن لم يكن هناك نائب يقول وليس له بمصر نائب[٤]، ثمّ يذكر أسماء قضاة مصر من المذاهب الأربعة[٥]، وأحياناً يقول: وقضاة مصر هم المذكورون في السنة قبلها[٦] وأحياناً يستثني إن حصل تغيير لأحدهم فيقول سوى القاضي الشافعي[٧]، مثلاً، ويذكر اسمه. ثمّ يذكر نائب الشام فيقول ونائب السلطنة في الشام[٨]، أو نائب الشام[٩] ثمّ يذكر اسمه، ثمّ يذكر قضاة

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٨٧.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٩١.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٥.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٤١.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ٨٧، ٣٧٧.
[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ٤٤٦.
[٧] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٤١.
[٨] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥١٢.
[٩] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٥١.

الشام واتّبع في ذكرهم نفس الأسلوب الّذي ذكر فيه قضاة مصر. ثمّ يذكر وظائف مختلفة ويذكر من ولي هذه الوظائف وقد كان أسلوبه أنّه يذكر المنصب الّذي تمّ التعيين فيه ككاتب السرّ[١]، ووكيل بيت المال[٢]، والحجّاب[٣]، وكان أحياناً وليس دائماً يذكر أسماء بعض الوظائف العليا وأنّ من يتولّاها هو من المذكورين في السنة الّتي قبلها ككاتب السرّ والصاحب والمحتسب والحجّاب وقضاة العسكر[٤].

أمّا طريقة ابن حجّي في كتابة أحداث شهور السنة فكان يستهلّ الشهر بصيغة: أوّله الخميس[٥]، وكان يذكر اليوم ورقمه في الشهر بصيغة: ويوم الجمعة خامسه أو يوم الخميس حادي عشره أو ليلة الأحد حادي عشريه على سبيل المثال. أمّا بقيّة أيّام الشهر فكان يذكرها بصيغة: ثانيه، ثالثه إلى عاشره، ثمّ يستخدم صيغة: حادي عشره، ثاني عشره، وحتّى تاسع عشره، ثمّ يستخدم صيغة العشرين منه، حادي عشريه، ثاني عشريه، وحتّى تاسع عشريه، أمّا صيغة: الثلاثين منه فكان يستخدمها إذا كان الشهر كاملاً كما يستخدم بدلاً عنها: آخره وهي تجمع يومي التاسع والعشرين أو الثلاثين بحسب طبيعة الأشهر الهجريّة. وكان يستخدم بدلاً من خامس عشره في بعض الأشهر صيغة: منتصفه.

كما كانت طريقته إن حدثَ حدثٌ آخر في نفس اليوم الّذي يتحدّث عنه بأن يبدأ الحديث عن الحدث الثاني بقوله: ويومئذٍ[٦] أو ليلتئذ[٧]، أو ووصل الخبر بـ[٨]، كما

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٩٤.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٨٨.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٤١.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٢٥٨.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٥٧.
[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٨٢.
[٧] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٥٩.
[٨] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٦٦.

كان يستخدم أحياناً صيغة: ويوم هذا السبت[١]، مثلاً، إن تكرّر حدث آخر في يوم السبت.

هذا ما استرعى فهم الباحث من طريقة كتابة ابن حجّي لكتابه ويستحق الإشارة إليه أمّا عدا ذلك فقد كان أسلوبه في كتابته مناسبة لطبيعة الحدث فيذكر كلمات تدلّ على الحدث، فعند انتقال الشمس من برج إلى برج، مثلاً، يقول: وليلة السبت سادسه نقلت الشمس إلى برج العقرب[٢]، وعند سقوط مطر غزير يقول: وقع مطر كثير جدّاً[٣]، وعن انخفاض السعر كان يقول، مثلاً: وانخفض في هذه الأيّام سعر القمح والشعير[٤]، وعن تعيين قاضي: يقول : لبس القاضي ... خلعة القضاء[٥]، وخلاصة وخلاصة القول أنّه كان يستخدم كلمات وعبارات تدلّ على الحدث ومناسبة له.

الاختصاص المكاني:

يعتبر تاريخ ابن حجّي من كتب التاريخ الإقليمي فقد ذكر تلميذه ابن قاضي شهبة أنّه جعله لأهل بلده غالباً[٦]، وقد وثّق في غالب الكتاب تاريخ دمشق في الفترة الزمنيّة الّتي يغطيها الكتاب، كما وثّق فيه طرفاً من أخبار بعض بلاد الشام كالقدس ونابلس وحمص وحلب. ولا يعني هذا أنّه قد تجاهل الأقاليم الأخرى فقد وثّق أخباراً لا بأس بها عن مصر بحكم أنّها هي عاصمة الدولة المملوكيّة ويتم من قبلها إدارة البلاد وأغلب التعيينات العليا في بلاد الشام. كما توجد أخباراً قليلة عن بلاد الحجاز وعن بلاد العراق، أمّا بقيّة البلاد كبلاد المغرب والأندلس واليمن وآسيا الصغرى وخراسان

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٧٤.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٢٠.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٣٦.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٤٤.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٥٨.
[٦] ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمّد بن عمر الدمشقي، ت ٨٥١ ه: تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، طباعة مشتركة بين: المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة، دمشق، والجفان للطباعة والنشر، قبرص، ١٩٩٤ م، ١١١/١.

والسند فلا نجد أخباراً عنها في الكتاب وهو ما يدعم ما ذهب إليه الباحث من أنّ الكتاب يعتبر من كتب التاريخ الإقليمي المختص بإقليم معيّن. كما يمكن تصنيف الكتاب أنّه من كتب التاريخ الإقليمي من بابٍ آخر إذ أنّ تغطيته للأقاليم المذكورة أعلاه وهي أقاليم الدولة المملوكيّة فنستطيع اعتباره كتاباً اختصاصيّاً عن الدولة المملوكيّة ركّز فيه المؤلّف على إقليم دمشق وبقيّة بلاد الشام بشكل كبير وتعرّض فيه لتغطية أخبار بقيّة أقاليم الدولة المملوكيّة وهي مصر الحجاز والعراق بشكلٍ أقلّ.

تأثير مكانته على كتاباته:

تبوّأ ابن حجّي مكانة دينيّة واجتماعيّة ووظيفيّة مرموقة في دمشق فقد أشار الباحث في ترجمته أنّه قد ولي الإعادة في عدد من المدارس، كما ولي الخطابة في الجامع الأموي، ومشيخة الشيوخ في دمشق، ورفض منصب القضاء، وكان ناسخاً للكتب، وناب في الحكم أكثر من مرّة، ولا شكّ أنّ هذه المناصب جميعاً هي من مناصب النخبة ولا يتولّاها إلّا رجل على قدر كبير من العلم والذكاء، وقد لاحظ الباحث أنّ ذلك كان له أبرز الأثر على كتابات ابن حجّي فقد اتّسم أسلوبه في الكتاب بالرصانة والأدب واختار مفرداته بعناية مع جميع النّاس حتّى مع من أساءوا إليه أو نافسوه في مناصبه أو كانوا يسعون لها. ومع أنّه كان يتحاشى العبارات والكلمات الجارحة أو غير المهذبة فقد كان لا يجامل في ذكر صفات عُرِف بها أو اشتُهِر بها من يتحدّث عنه فقد ذكر أنّ النّاس تعرف عن الشرف عيسى الغزي[1] أنّه كذّاب ولكن لم يظنّوا أنّه يكذب في سبيل أن يتولّى التدريس ولو لفترة مؤقتة ويقبل على نفسه السقوط ثمّ

[1] شرف الدين عيسى بن عثمان الغزي: كان شافعي المذهب، وقد ولي نيابة الحكم في دمشق ، كما ولي قضاء داريّا. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٦١٤/٨.

استعاذ من مثل هذه الأعمال[١]. كما ذكر ما آلت له حال القضاة من أخذ مبالغ كبيرة منهم وقال عن ذلك: (وهذا شيء من أقبح ما يكون وقد تناهى حال القضاة إلى هذا الحد فإلى الله المشتكى)[٢]. كما ذكر قصّة طويلة عن فساد القضاة واستهلّها بقوله: (ومن حوادث هذه الأيّام الفساد الظاهر من جهة القضاة)[٣]. كما أنكر الظلم من مصادرة القرى والبساتين بما قُرِّر على أصحابها من الذهب والأموال بسبب عمارة قلعة فذكر أنّ هذا ظلمٌ زائد وسأل الله الفرج منه بل وشبّه ذلك بما حصل في أيّام تيمورلنك[٤].

ضابط انتقائه للمادّة العلميّة:

لم يلحظ الباحث أنّ هناك ضوابط لانتقاء ابن حجّي للمادّة العلميّة وكان كلّ همّه، على الأرجح، مُنصَبّاً على ملء الشهر وأيّامه بأكبر قدر من الحوادث والأخبار. وقد قام الباحث بمحاولة لتصنيف محتويات الكتاب ومادّته العلميّة في عدد من المجالات وكلّ مجال ظهر تحته مجالات كثيرة يجمعها به مظلّة التصنيف، كما أنّ الباحث كان من بين تصنيفاته (منوّعات) وهي كثيرة جدّاً لا تعد ولا تحصى ويمكن أن يقع تحتها أخبار ذكرت لمرّة واحدة مما يثري مادّته العلميّة بشكل كبير. وما يدعم رأي الباحث من غياب الضابط أنّ جلّ همّه كان جمع أكبر قدر من المادّة العلميّة دون التركيز على جودتها أو مصداقيّتها فقد ذكر أحداثاً غير مفهومة من جهة كذكره لسعاية ابن أخت قاضي صور بنظر المارستان الصغير مع أنّه وقف لعائلة ابن سويد وإشاعة أنّ معه توقيع بالحسبة أيضاً[٥] دون توضيح أو شرح ما حدث في ذلك، ومن جهة أخرى

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٠٠.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦١٥.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٢٩.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٦٩-٧٧٠.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٠٧.

ذكر أحداثاً لا قيمة لها كذكره لمولودتين وُلِدتا ميتتين لستّة أشهر إحداهما لها لحية مستديرة[١]، ولكن هذين الأمرين لا يؤثران على القيمة العلميّة لكتاباته ولا يلام فهو يريد أن يصوّر هذه الحقبة الزمنيّة الّتي عاش فيها أنّها خصبة ومليئة بالحوادث، كما لا نستبعد أن يكون هدفه هو إعطاء صورة واضحة من مُعاصِر عن الحقبة الزمنيّة الّتي يغطيها الكتاب فيما لو كانت هناك حاجة لمعلومة عن هذه الفترة.

الاختصار:

ظهر كتاب تاريخ ابن حجّي في فترة كثرت فيها المؤلّفات المختصرة والّتي بدأت في الظهور بدءاً من أوائل القرن الثامن الهجري والّذي وُلِد ابن حجّي في النصف الثاني منه سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م)، وكتب كتابه بدءاً من سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) لذلك يمكننا القول أنّ الكتاب يمثّل مرحلة متقدّمة في نضج تجربة المؤرّخين المسلمين في الاختصار. وقد يظهر للباحث أنّ طبيعة الكتاب قد تلزمه على الاختصار لأنّه يتناول الأخبار بشكل يومي والأحداث اليوميّة لا يمكن الاسترسال والتوسّع فيها كثيراً بسبب قصر الفترة الزمنيّة المغطاة. كما أنّ كثيراً من أخبار الكتاب لا تحتمل التوسّع كسقوط مطر أو ذكر التسعيرات أو تعيين وعزل موظّف وغيرها.

ومع ذلك قد يأتي من يقول أنّ الكتاب ليس مختصراً فقد غطّى أحداث حوالي عشرين سنة فيما يزيد عن ألف صفحة في جزأين، ولكن هذا غير دقيق فالعصر الّذي عاش فيه ابن حجّي هو عصر تميّز بكثرة أحداثه على جميع الأصعدة فيما يتعلّق بالصراع بين المماليك أنفسهم ومع المغول وطبيعة العصر من كثرة التعيينات والعزل وإعادة التعيين وقطع الطريق بالإضافة لتغطية ابن حجّي للأحداث الفلكيّة وأخبار الطقس والأوضاع الاقتصاديّة وخلافها. وأخبار ابن حجّي هي أخبار مختصرة جدّاً وليس فيها إطالة ويمكن ملاحظة ذلك مباشرة دون ذكر لأحداث تثبت ذلك فالمتصفح للكتاب في

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٧٥.

أي صفحة من صفحاته لا يصعب عليه العثور على أخبار مختصرة. ومع ذلك سيحاول الباحث ذكر أمثلة عن ذلك من أجل معرفة مزايا منهجه في الاختصار:

فقد كان كلّ ما ذكره عن التقويم والطقس مختصراً ولم تُلحظ عليه الإطالة في ذلك فقد كان يكتفي بذكر أسماء الأشهر غير العربيّة المشهورة دون تعليق عليها، كما كان يغطّي أخبار المطر والبرَد والجفاف والجراد بمنتهى الاختصار فلم يكن يذكر أكثر من الحاجة لها أو ضررها دون أن يشير إلى الآثار الإيجابيّة أو السلبيّة لها.

كما أنّ أخباره عن اليهود والنصارى كانت مقتضبة جدّاً ولم يكن يفصّل فيها فقد كان يكتفي بذكر الخبر دون أن يتوسّع فيه وإنّما يستوفيه من جميع جوانبه بما لا يخلّ بمنهج الاختصار.

وكذلك ما ذكره عن الطاعون كان في غاية الاختصار فلم يكن يتعدّى ذكر ظهوره وأحياناً يذكر إحصائيّات عن بعض الأوبئة ذات الانتشار الكبير.

كما يظهر الاختصار بشكل جليّ في تغطية ابن حجّي لأخبار السلطان وما يتعلّق به فقد جرت العادة عند غالب المؤرّخين المسلمين الاهتمام بأخبار السلطان وتغطيتها بشكل موسّع وهو ما لا يمكن ملاحظته عند ابن حجّي فمثلاً في حديثه عن زيارات السلطان نجد أنّه لا يذكر سبباً للزيارة، أو استعداد السلطان للسفر، أو ذكر من ينيبه بدلاً عنه عند سفره، أو ذكر أخباره خلال الطريق أو خلافه.

كما أنّه لم يكن يذكر مزيد تفصيل عن صراع أمراء المماليك ولكن كان يكتفي بالإشارة إلى ذلك بل وفي بعض الصراعات لا يذكر نتائج لها.

ولم يلحظ الباحث انّ ابن حجّي قد خرج عن منهجه في الاختصار إطلاقاً وهو ما يجعلنا نثني عليه في نجاحه بالاختصار إذ لم يخرج عن هذا المنهج في أي حدث تناوله في كتابه.

ومع أنّ الكتاب غلب عليه الاختصار إلّا أنّ الباحث لاحظ في بعض الأحيان اختصاراً مخلّا لا يفهم منه تطوّر الأحداث، ومع أنّ هذا الاتجاه كان له وجود إلّا انّه

لا يقلّل من قيمة الكتاب أو أهميّته في تغطية أخبار الفترة الزمنيّة الّتي تناولها الكتاب. بل نجد فيه سهولة ومرونة في سرعة الرجوع للحدث وفهمه بشكل أسرع دون تشتيت لذهن القارئ في التركيز في القراءة ومحاولة الإلمام بأطراف الموضوع.

الحياد في الكتابة:

كان ابن حجّي محايداً في كتاباته فلم يلحظ الباحث أنّه كان يميل أو ينحاز إلى أحد من المسؤولين أو العلماء كما لاحظ الباحث أنّه كان معتدلاً في حديثه عن الأشخاص فلم يسب أحداً أو يمتدح أحداً أو يبالغ في المدح أو الذمّ فأعلى النّاس قدراً في الدولة هما الخليفة والسلطان لم نلحظ أنّه قد وصفهم وصفاً مبالغاً فيه بل كان يذكرهم بألقابهم مجرّدة دون تبجيل أو إفراط في وصفهم بل إنّه قد تكلّم في المؤيّد شيخ وذكر بعض أفعاله السيئة قبل تولّيه السلطنة. كما كان محايداً في مذهبه فلم يُخطّئ أحداً من المذاهب الأخرى أو يقوم بتفضيل مذهبه، المذهب الشافعي، على غيره من مذاهب أهل السنّة والجماعة بل كان يتحدّث عن شيوخ المذاهب بحياديّة تامّة ولم يُلحَظ أنّه قد قلّل من قدر أحدٍ منهم. كما لاحظ الباحث أنّه وقف موقف الحياد من التصوّف ولم يذكر شيئاً عنه باستثناء ذكر بعض الزوايا الصوفيّة ومن تمّ تعيينه فيها دون أن يذكر ما يشير إلى أنّها مكاناً للتصوّف، بل لم يلحظ الباحث كلمات تصوّف أو صوفيّة بجميع اشتقاقاتها في الكتاب. كما كان ابن حجّي محايداً مع اليهود والنصارى فقد تحدّث عنهم وذكر أعيادهم واحتفالاتهم وتعامل الدولة معهم دون أن يطعن بهم أو يقلّل من قدرهم كمعاهدين. كما كان يتبرّأ من بعض أعمال القضاة والمسؤولين في الدولة ويظهر فسادهم بما يثبت عليهم.

تنوّع الأخبار في الكتاب:

تميّز تاريخ ابن حجّي بتنوّع أخباره فهو كتاب شامل لكل أحداث العصر بمختلف أشكالها وأنواعها، وقد سبق للباحث أن عرض للمادّة العلميّة في الكتاب، ومن كثرة الأخبار الّتي عرض لها يمكن تشبيهه بحاطب ليل بمعنى أنّه كان يورد كلّ ما تقع عليه يده من أخبار ولم يخصّص كتابه لنوع محدّد من الأخبار، ولا شكّ أنّ لهذه الطريقة إيجابيّات وسلبيّات وإن كانت إيجابيّاتها تتغلّب على سلبيّاتها ويمكن الاستفادة منها وتجاهل السلبيّات.

فمن الأخبار الّتي ذكرها ابن حجّي وهي ذات فائدة عظيمة بعضاً من فتاواه كفتواه بجواز أكل لحم الزرافة[١]، وكذلك طرفاً من أخبار السلطان حتّى وإن كانت مختصرة، وكذلك أخبار التعيينات والعزل ونقل الموظفين الكبار والقبض على بعض منهم والسعاية من أجل الحصول على منصب وخلافه والّتي تعطينا صورة عامّة عن النظام الإداري في الفترة الزمنيّة الّتي غطّاها الكتاب. وكذلك تغطية بعض الأخبار الاقتصاديّة كغلاء الأسعار وانخفاضها والتفصيل في ذلك وذكر أسعار السلع والتغير فيها.

وتكمن السلبيّات في ذكره أحياناً لأخبار ليست تامّة أو فيها نقص أو ربّما تكون غير مفهومة ومن ذلك إشارته إلى عمارة مسجد وأوقافه ولكن لم يذكر اسم هذا المسجد أو مكانه[٢]. كما تكمن السلبيّات بذكره لأحداث ليست ذات أهميّة مثل ذكره لخبر جاء به صاحب البريد أنّه وقف على مولودين توأم وهما بنتان وُلِدتا ميّتتين لستّة أشهر وكلاهما كاملة الأسنان وإحداهما لها لحية مستديرة[٣]. وكذلك ذكره لمولودين سياميّين

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦١٣.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٤٠٦.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٧٥-١٧٦.

متلاصقين من الظهر[١] فمثل هذه الأشياء الغريبة قد تقدح في صحّة الكتاب لأنّها غير معقولة ولا تصدق مع احتماليّة وقوعها كظاهرة المولودين السياميّن الّتي أصبحت غير غريبة في وقتنا المعاصر. كما ذكر قصّة لرجلين اجتمعا على شراب في الصالحيّة بدمشق فوجدوهما محترقين ولم يكن عندهما نار أو أثر لوجود نار ثمّ عقّب على ذلك بقوله أخبرني بقصّتهما من أثق به من أهل الصالحيّة ولم يذكر اسمه[٢]، ولا شكّ أنّ ذكره لقصّة غريبة مثل هذه وعدم ذكره لاسم من أخبره بالقصّة هو قادح في مصداقيّته.

ربط الأحداث وترتيبها:

يمكن تصنيف كتاب ابن حجّي أنّه كتاب مذكرات أو يوميّات يورد فيها ما يحصل بشكل يومي، وقد سبق للباحث أن عرض لمادّة الكتاب العلميّة، أعلاه، واقترح تقسيمها لموضوعات تُظهِر أنّه لا ترابط بين أغلبيّة موضوعات الكتاب فعلى سبيل المثال أخبار المطر أو الخسوف أو غلاء الأسعار أو التعيين أو العزل أو ظهور الطاعون أو الوفيّات وغيرها كثير هي تقريباً أحداث محدودة بيوم حدوثها ولا يمكن استكمالها وقائعها كأحداث في يوم آخر. أمّا ما يمكن ملاحظة الترابط فيه من موضوعات الكتاب فهي الصراعات بين المسلمين والمغول والصراعات بين أمراء المماليك وأخبار السلطان ولكن الباحث لم يجد ترابطاً واضحاً في سرده لها بل قد تجده يستكمل حدث ولا تلحظ أنّه تكملة ولكن يدوّنه كحدث مستقل.

أمّا عن ترتيب ابن حجّي للأحداث فقد ذكر الباحث أنّ منهجه العام كان منهجاً حولياً يذكر فيه الأحداث من الأقدم إلى الأحدث أي أنّه يقوم بترتيب الأحداث بحسب

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٧٦.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٩٢٥.

وقوعها في أيّام الشهر من أوّله إلى آخره، وكذا الحال مع الشهور والسنوات، وقد لاحظ الباحث أنّ ابن حجّي قد حافظ على هذا المنهج بشكل جيّد ولكن حدث عنده تجاوزات أو مخالفات لذلك أحياناً ولكن ليس بكثرة بأن يذكر يوم متأخّر قبل يوم سابق له أو متقدّم عليه. ففي ذكره لبعض الوفيّات كان يذكر أحداث الشهر أوّلاً ثمّ يختمه بذكر وفيّاته والّتي بعضها يكون سابق لبعض أحداث الشهر الّتي ذكرها آنفاً فعلي سبيل المثال: في شهر صفر من سنة ٧٩٨ هـ (ديسمبر ١٣٩٥ م) ذكر في التاسع والعشرين منه أنّ الشمس قد انتقلت إلى برج القوس ثمّ عاد بعدها للحديث عن وفاة بدر الدين محمّد بن شهاب الدين أحمد بن زين الدين بن عبد الغالب المالكي في العشرين منه[١]. وفي صفر سنة ٨٠٤ هـ (سبتمبر ١٤٠١ م) ذكر في العاشر منه وقعت كائنة طرابلس، ثمّ ذكر في خامسه انتقلت الشمس إلى برج الميزان[٢] ثمّ استطرد في أحداث الشهر كما هو معتاد. كما ذكر في شهر ذي القعدة سنة ٨٠٦ هـ (مايو ١٤٠٤ م) أنّه في السادس عشر منه كان أوّل بونة، وهو من أشهر القبط، ثمّ ذكر في الثاني والعشرين من الشهر كان أوّل حزيران، ثمّ عاد للحديث عن السادس عشر من ذي القعدة مرّة أخرى[٣]. كما ذكر في ربيع الآخر من سنة ٨٠٩ هـ (أغسطس ١٤٠٦ م) أحداث اليوم الحادي والعشرين منه قبل أحداث اليوم الخامس عشر[٤].

النقد:

لاحظ الباحث أنّ ابن حجّي كان قليل النقد في كتاباته ويظهر السبب أنّ طبيعة أكثر الأحداث والأخبار الّتي أوردها لا يمكن نقدها ولا تحتمل النقد، فعند الحديث عن

(١) ابن حجّي: المصدر السابق، ١٤٦.
(٢) ابن حجّي: المصدر السابق، ٥١٧.
(٣) ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٣٠.
(٤) ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٥٥.

التقويم وأحوال الطقس والمناخ وأخبار وفود الحج وأخبار الطاعون وزواج بعض الوجهاء وولادة مولود وغيرها الكثير فإنّه لا يمكن نقد مثل هذه المواضيع لأنّها أحداث خارج موضوع النقد، إن صحّ التعبير، وليس فيها ما يمكن نقده. ولكن لا يخلو الأمر من نقد ابن حجّي لبعض الموضوعات والقضايا وخاصّة تلك الّتي تتعلّق بالقضايا الدينيّة وفساد القضاة والتدليس من أجل الحصول على منصب أو تدريس وغير ذلك، ويمكن أن نلحظ على نقده أنّه كان لا يتورّع عن قول كلمة الحقّ إن جاءت لها مناسبة، فعلى سبيل المثال ذكر أنّ النّاس تعرف عن الشرف عيسى الغزي أنّه كذّاب ولكن لم يظنّوا أنّه يكذب في سبيل أن يتولّى التدريس ولو لفترة مؤقتة ويقبل على نفسه السقوط ثمّ استعاذ من مثل هذه الأعمال[١]. كما نقد ما آلت إليه حال القضاة من أخذ الدولة لمبالغ كبيرة منهم وقال عن ذلك: (وهذا شيء من أقبح ما يكون وقد تناهى حال القضاة إلى هذا الحد فإلى الله المشتكى)[٢]، كما أورد قصّة طويلة عن فساد القضاة واستهلّها بقوله: (ومن حوادث هذه الأيّام الفساد الظاهر من جهة القضاة)[٣]، كما نقد الدولة وأنكر الظلم الّتي كانت تمارسه بمصادرة القرى والبساتين بما قُرِّر على أصحابها من الذهب والأموال بسبب عمارة قلعة فذكر أنّ هذا ظلمٌ زائد وسأل الله الفرج منه بل وشبّه ذلك بما حصل في أيّام تيمورلنك[٤].

اللّغة:

كتب ابن حجّي كتابه بلغة عربيّة فصيحة لم يلحظ الباحث فيها أخطاءً لغويّة ولكن لاحظ عليه أنّه كان يستعمل بعض الكلمات والعبارات العاميّة في كلّ الكتاب وهي

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٠٠.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦١٥.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٢٩.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٦٩-٧٧٠.

غالباً كانت دارجة ومستعملة في وقته، وسيحاول الباحث فيما يلي ضرب أمثلة لهذه الكلمات:

فأوّل ما وقعت عليه عين الباحث من ذلك هو قوله: (واستمرّ سعيه في القضاء عام أوّل)[١] أي في السنة قبل الماضية وهي عبارة عاميّة يبدو أنّ لها استخدام في وقته. كما استخدم عبارة (قطع خبز)[٢] كثيراً عند الحديث عن فصل موظّف أو طرده. كما كان يستخدم بكثرة عبارة (ضعف شديد)[٣] كناية عن المرض ووجه الغرابة في ذلك أنّ الضعف الشديد يحصل بمرض أو بغير مرض. كما لفت انتباه الباحث استخدامه عبارة (وتقلعهم من العراق)[٤] عند حديثه عن تيمورلنك ومغادرته العراق نهائيّاً في أواخر شهر ذي القعدة وأوائل شهر ذي الحجّة سنة ٨٠٦ هـ (يونيو ١٤٠٤ م)، وعند الرجوع للمعجم لمدى معرفة صحّة استخدامه للعبارة تبيّن أنّ تقلّع هي بتشديد اللّام وأصلها (قلع) وتعني انتزعه من أصله أو حوّله عن موضعه[٥] واستخدامه لهذه الكلمة يدل على فصاحة ومعرفة باستخدام العبارات الدقيقة والمناسبة للحدث فهذه الكلمة ليست من الكلمات الدارجة أو المستعملة بكثرة ولكن ترشد على أنّ من يستعملها على معرفة بتصريف الكلمة ومواضع استعمالها. كما كان يذكر السنة الكبيسة، وهي الّتي يكون فيها شهر شباط ٢٩ يوماً، بالتذكير أي الكبيس[٦]، وهو مخالف لما ورد في المعجم[٧] وهو ما يرجّح أنّها كانت تستخدم في دمشق بالتذكير. كما كان يستخدم

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٨.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٨، ٩٠.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٧٢.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦٣٤.
[٥] الفيروزآبادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب، ت ٨١٧ ه: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨ م، ٧٥٤-٧٥٥.
[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ٨٠٣.
[٧] ابن حجّي: المصدر السابق، ٩٦٠.

كلمة (كبس)[١] كثيراً عند مداهمة شخص أو بلدة وعند الرجوع للمعجم تبيّن أنّ معناها هجم عليه واحتاط[٢] وهو نفس المعنى الّذي قصده ابن حجّي عند استعمال الكلمة وهو غالباً يكون بواسطة الدولة الّتي لديها القوّة والقدرة على عمل ذلك وتكون عادةً محتاطة وحذره، وما قصده ابن حجّي هو إلقاء القبض على المكبوس أو تأديبه أمّا معنى المعجم فهو المهاجمة مع الحيطة دون الإشارة إلى نتيجة القيام بذلك، ولا فرق في ذلك فاستعمال ابن حجّي هو استخدام صحيح وقد يكون هذا المصطلح مستخدماً على نطاق واسع في زمنه.

كما نلحظ أنّه كان يذكر أحداثاً تتعلّق بأخيه ويقول عنه: الأخ[٣] دون أن يذكر اسمه وكانت العبارة: عمل الأخ عقيقة، وكان من الأفضل استبدالها بـ: أخوي وهو أحد الأسماء الخمسة لأنّ صيغة الأخ تطلق غالباً على سبيل الاستنقاص ولا يظهر سبباً لذلك إلّا أن يكون استخدامها رائجاً في وقته. كما أورد جملة قدّم فيها الحال على صاحبها وهي: توفّي مطعوناً شرف الدين[٤] وهو مخالف للأصل بأن تتأخّر الحال على صاحبها مع جواز تقديمها أي أنّه ليس خطأً ولكنه مخالف لما درجت عليه القاعدة العامّة فاستعماله لها أقرب إلى الأسلوب الشفهي أكثر من الأسلوب الكتابي.

كما يُلحظ على أبن حجّي في كتابه أنّه قد ابتعد كثيراً عن استعمال المحسّنات البديعيّة الرائج استخدامها في عصره فكان الكتاب أقرب إلى لغة العصر وهي الفصحى الخليطة بالعاميّة، ويظهر للباحث أنّ ابن حجّي كان لديه القدرة على استعمال المحسّنات البديعيّة ولكن استعمالها لا يخدمه في كتاب أراد فيه توثيق

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٣٤، ٩٦٠.
[٢] الفيروزآبادي: المصدر السابق، ٥٦٩.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٨٩٩.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٩٦٧.

أحداث عصره بلغة هذا العصر حتّى تكون واضحة ومفهومة من جميع فئات القرّاء سواءً في زمنه أو من بعده.

أثر منهجه على المؤرّخين من بعده:

هناك أثر كبير لتاريخ ابن حجّي على تلميذه ابن قاضي شهبة المتوفّى سنة٨٥١ هـ (١٤٤٧ م)، فقد ذكر ابن شهبة في مقدِّمة تاريخه أنّ ابن حجّي قد أوصاه أن يتمّ خرماً حصل في تاريخه بين سنتي ٧٤٨ هـ و ٧٦٨ هـ[١] (١٣٤٧ م و ١٣٦٧ م)، ومن هذا التعليق لابن قاضي شهبة يظهر أنّه كان محفّزاً له على تأليف تاريخه على غرار تاريخ ابن حجّي، وقد عبّر عن ذلك بقوله: (فاستخرت الله وعلّقت ذيلاً طويلاً على أسلوب تاريخ الشيخ)[٢]، كما يُفهم من عبارة ابن قاضي شهبة أنّه قد اتّبع نفس منهج ابن حجّي. وعند رجوع الباحث لتاريخ ابن قاضي شهبة وجد أنّه على غرار تاريخ ابن حجّي مع اختصاص تاريخ ابن حجّي بتاريخ ووفيّات دمشق وشموليّة تاريخ ابن قاضي شهبة بأخبار ووفيّات البلاد الإسلاميّة عموماً.

وعند النظر بتاريخ ابن قاضي شهبة ومقارنته بتاريخ ابن حجّي يظهر للباحث أنّ تاريخ ابن حجّي كان موسّعاً أكثر فقد لاحظ الباحث أنّ ابن قاضي شهبة قد أهمل أخبار رؤية الهلال أو المصادف له من بقيّة التقاويم وأخبار المطر والثلوج وتعديل العملة وأسعار السلع وغير ذلك، ويمكن القول أنّه اكتفى بأحداث وأخبار المناصب والتعيينات والخلافات السياسيّة بين أمراء المماليك، كما لاحظ الباحث أنّه كان ينقل عن ابن حجّي وأكثر الأخبار المنقولة عنه تستهل بـ: قال ابن حجّي.

وقد كان منهج ابن قاضي شهبة في كتابه قريباً من منهج ابن حجّي بشكل عامّ، ولإيضاح الصورة نأخذ سنة ٥٩٧ هـ[٣] (١٢٠٠ م)، على سبيل المثال، فقد استهلّ

[١] ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ١١١/١.
[٢] ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ١١١/١.
[٣] ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ٥٣٩/٣-٥٧١.

ابن قاضي شهبة الحديث عنها بـ: في سابع المحرّم ثمّ استرسل بذكر الأخبار والحوادث، وهذا مخالف لمنهج ابن حجّي الّذي كان يذكر فيه الخليفة والسلطان والقضاة والمناصب القياديّة ثمّ يستهلّ الحديث عن الأشهر بذكر كلّ شهر كعنوان مستقل بخلاف ابن قاضي شهبة الّذي لم يفصل في الحديث عن الأشهر أو تخصيص عناوين لها وإنّما كان يدمجها معاً، ثمّ بعد أن ينتهي من سرد الأحداث والأخبار يذكر الوفيّات في هذه السنة، وهو خلاف منهج ابن حجّي الّذي كان يذكر الوفيّات أثناء حديثه عن الشهر وأحياناً يذكر الوفيّات في نهاية الشهر كما كان يذكر وفيّات السنة في ختام حديثه عنها.

وقد نقل عن ابن حجّي عدد من المؤرّخين كالمقريزي والسخاوي وابن العماد الحنبلي وغيرهم، وقد كان نقلهم عنه نقلاً اعتياديّاً لا يصل إلى مرحلة التأثّر بمنهجه كما حصل مع ابن قاضي شهبة، ومع ذلك يعطينا نقلهم عنه مؤشّراً إيجابيّاً عن أهميّة تاريخه كمصدر مهم عن تاريخ دمشق في الفترة الزمنيّة الّتي غطّاها الكتاب.

عدم الاعتناء ببعض أخباره:

وقد كانت قليلة ومتناثرة في جنبات الكتاب، فقد ذكر أخباراً غير مكتملة و منقوصة، ويمكن أن تظهر طبيعة النقص فيها من خلال ضرب أمثلة عنها: فقد ذكر أنّه في ثالث رجب سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٤/٥/١٢ م) نودي بخروج العسكر[١] ولكن لم يذكر أين؟. كما أورد خبراً قال فيه: (بطّل القاضي التدريس)[٢] واكتفى بذلك فلم يذكر من هو القاضي أو اسمه أو سبب توقّفه عن التدريس. كما ذكر عن محمود الأستاددار

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٥٩.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٦.

أنّه قد خرج إلى الديار المصريّة مع خيل البريد[١] ولم يذكر سبب خروجه ولكن يظهر من صيغة الكلام أنّه قد خرج مطلوباً من الجهات العليا في الدولة. كما ذكر أنّ فخر الدين المعروف بكاتب ابن أقبغا قد وصل إلى دمشق على البريد وأقام في دار الحديث الظاهريّة نصف شهر حتّى قضى مآربه ثمّ عاد إلى القاهرة[٢]، ويظهر من سياق النصّ أنّه قد جاء بزيارة رسميّة لم يذكر شيئاً عنها واكتفى بوصف ما حقّقه خلالها بمآربه دون أن يذكر شيئاً منها أو أن يصفها وهل كانت مآرب خاصّة أو مهمّة عمل؟

كما اكتفى بذكر قدوم قاضي القضاة سريّ الدين إلى دمشق قادماً من القدس[٣] دون أيّ إشارة إلى سبب قدومه أو ذكر شيئاً حول ذلك.

كما ذكر أنّه قد أُلقي القبض على ابن الغزولي التاجر وسجن بالقلعة وقُيّد وأقام فيها بضعة عشر يوماً ثمّ شفع له ابن أقبغا الصغير فأُطلِق سراحه[٤]، ولم يذكر تفاصيل حول ذلك أو سبب إلقاء القبض عليه.

كما ذكر أنّ تمر بغا المنجكي الحاجب قد عيّنوه حاجباً صغيراً بعد أن كان حاجباً كبيراً[٥] دون ذكر سبب ذلك أو شيئاً حوله.

كما ذكر أنّ النائب قد عاد من الغور بعد أن غاب شهرين وسبعة عشر يوماً[٦] دون ذكر اسم النائب أو أيّ تفاصيل عن هذه الزيارة.

كما ذكر أنّ النائب قد أطلق الأمير جلبان من القلعة[٧]، ولم يذكر من هو الأمير جلبان أو شيئاً عن سبب سجنه أو إطلاق سراحه.

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٩١.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٠٧.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ١١٧.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٥٤.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ١٦٦.
[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ٢٢٧.
[٧] ابن حجّي: المصدر السابق، ٣٨١.

كما ذكر في الثامن عشر من رجب سنة ٨٠٢ هـ (١٤٠٠/٣/٢٣ م) أنّه كانت الوقعة بين عسكر السلطان واللكّاش[١] ولم يعرّف باللكّاش أو سبب الوقعة أو أين وقعت؟

كما ذكر أنّ النائب قد خرج إلى ناحية الغور للإغارة على عرب هناك[٢]، والنائب على الأرجح هو نائب دمشق بسبب اختصاص الكتاب بتاريخ دمشق، والغور هو غور الأردن لأنّه الأقرب إلى دمشق، ولم يذكر سبب الإغارة، أو تطوّر أحداثها، أو نتيجتها.

وقال نصاً: (جهّز الأمير نوروز عسكراً يتوجهون إلى الرملة ليكونوا مقدِّمة للجيش فيهم سودون المحمّدي وجهّز معهم دواداره أزبك وجماعة فتوجهوا)[٣] ويوجد في هذا النصّ ارتباك إذ ذكر أنّ العسكر قد خرجوا ليكونوا مقدِّمة للجيش وهو ما يدل أنّ هناك جيش موجود في الرملة، كما لم يذكر سبب وجود الجيش في الرملة أو الأعمال المناطة به، وكذلك أضاف كلمة: فتوجّهوا في نهاية النصّ وقد سبق أن أشار إلى توجّههم إلى الرملة في بداية النصّ وهو ما قد يسبّب بعض النشوز في النصّ.

كما ذكر أنّه تمّ القبض على ناظر الجيش تاج الدين رزق الله وأخيه[٤]، ولم يفصّل في في ذلك أو يذكر شيئاً حوله.

كما ذكر القبض على الوزير ابن أبي شاكر وسجنه بالقلعة[٥] دون تعليق على ذلك.

كما ذكر خبراً في سطر مستقل: (وعزلوا محتسباً وولوا آخر وضيعين لا أذكرهما)[٦] فهو لم يذكر من الّذي عُزِل والّذي عُيّن، ووصف الرجلين بالوضاعة، وقد يكون المراد

---

[١] ابن حجّي: المصدر السابق، ٤٠٩.
[٢] ابن حجّي: المصدر السابق، ٦١٢.
[٣] ابن حجّي: المصدر السابق، ٧٥٠.
[٤] ابن حجّي: المصدر السابق، ٨٤٢.
[٥] ابن حجّي: المصدر السابق، ٨٤٦.
[٦] ابن حجّي: المصدر السابق، ٩٨٥.

بعدم ذكره لهما أنّه لا يريد ذكرهما في الكتاب، أو ربّما نسيهما تجاهلاً بسبب وضاعتهما.

خاتمة:

بعد أن فرغ الباحث من سرد منهج ابن حجّي وأبرز ملامحه ومميزاته ظهر ببعض النتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

- يساعد البحث في التعرّف على منهج المؤرِّخ المسلم المنصف عندما يكون معاصراً ومزامناً للأحداث وطريقة عرضه لها بحياديّة دون ميل لطرف على حساب طرف آخر، وهذا هو حال ابن حجّي في كتابه.
- دقة منهج ابن حجّي فقد عرض لأخباره بطريقة منظّمة وواضحة جدّاً خلال السنوات الّتي تناولها في الكتاب، فكلّ سنة مشابهة للسنة الّتي قبلها والّتي بعدها من حيث التنظيم والتقسيم حيث أنّه يتناول في بداية السنة المناصب العليا في الدولة ثمّ يتناول أشهر السنة بالتتابع ويكون كلّ شهر على حدة على شكل عناوين رئيسيّة ويذكر أحداثه بحسب تتابع وتسلسل أيّامه.
- كما لاحظ الباحث أنّ ابن حجّي قد نجح بتدوين حوادث الكتاب باختصار دون إخلال بوضوح الحادثة مع أنّه كان يمزّق سياق الحادثة عندما تمتدّ لفترة طويلة تتجاوز الشهر فلا يُلحظ على الحادثة أنّ لها تكملة فيما بعد أو أن يُذكِّر أنّ حديثه عنها استكمال لما بدأه في شهر سابق.
- ومع أنّ ابن حجّي كان متنوّع الأخبار في الكتاب إلا أنّه كان أشبه بحاطب ليل في جمعه لأخباره بمعنى أنّه يجمع الأخبار دون النظر في أهميّتها أو صحّتها إلّا

أنّ ذلك قد يزيد من القيمة العلميّة للكتاب بتصويره لحوادث وقته حتّى وإن تفاوتت أهميّة هذه الأخبار أو صحّتها.

- كما يمكننا الاستنتاج أنّ ابن حجّي مع أنّه من صغار مؤرّخي الإسلام إلّا أنّ منهجه كان في غاية الوضوح ولا يقل عن منهج كبار مؤرّخي الإسلام إن لم يتفوّق على بعضهم. وقد كان لمنهجه أثر كبير على تلميذه ابن قاضي شهبة والّذي يمكن تصنيفه من كبار مؤرّخي الإسلام، وعند مقارنة المنهجين يظهر منهج ابن حجّي أكثر وضوحاً وتنظيماً ودقةً من منهج ابن قاضي شهبة.
- كما لاحظ الباحث أنّ الجانب النقدي عند ابن حجّي كان ضعيفاً ومحدوداً وكان يورد الحوادث دون أن ينتقدها إلّا في حالات معدودة وقليلة.
- ومن النتائج أيضاً أنّ ابن حجّي مع أنّه كان ضليعاً باللّغة العربيّة إلّا انّه كان يستخدم العديد من المفردات العاميّة المستخدمة في وقته وربّما نلتمس له العذر في ذلك بأنّه كان يقصد أن يكون كتابه مفهوماً من قبل الجميع علماء وعامّة على وجه السواء. كما يمكن النظر لذلك من باب آخر وهو فهم اللّهجة الدمشقيّة في زمنه.

المصادر:

- ابن حجر العسقلاني، شيخ الإسلام أحمد بن علي، ت ٨٥٢ هـ: إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: د. حسين حبشي، القاهرة، ١٣٨٩ هـ.

- ابن حجر العسقلاني: شيخ الإسلام أحمد بن علي، ت ٨٥٢ هـ: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤ هـ.

- ابن حجّي، أبو العبّاس أحمد بن حجّي السعدي الحسباني الدمشقي، ت ٨١٦ هـ: تاريخ ابن حجّي، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.

- الرضي الغزّي، رضي الدين، أبو البركات، محمّد بن أحمد بن عبد الله العامري، الشافعي، ت ٨٦٤ هـ: بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

- السخاوي، شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢ هـ: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

- ابن طولون، محمّد الصالحي الحنفي، ت ٩٥٣ هـ: القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة، تحقيق: محمّد أحمد دهمان، ١٣٦٨ هـ.

- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي، ت ١٠٨٩ هـ: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

- الفاسي، محمّد بن أحمد الحسني المكّي، ت ٨٣٢ هـ: ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: محمّد صالح المراد، طباعة جامعة أمّ القرى، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب، ت ٨١٧ هـ: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨ م.

- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمّد بن عمر الدمشقي، ت ٨٥١ هـ: طبقات الشافعيّة، تحقيق: د. عيد العليم خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ.

- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمّد بن عمر الدمشقي، ت ٨٥١ هـ: تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، طباعة مشتركة بين: المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة، دمشق، والجفان للطباعة والنشر، قبرص، ١٩٩٤ م.

- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، ت ٨٤٥ هـ: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: د. محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

- ابن ناصر الدين، شمس الدين محمد بن عبد الله أبي بكر القيسي الدمشقي الشافعي، ت ٨٤٢ هـ: التبيان لبديعة الزمان، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النوادر، سوريا، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ.

- النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، ت ٩٧٨ هـ: الدارس في تاريخ المدارس، أعدّ فهارسه: إبراهيم شمس الدين؛ دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ت ٦٢٦ هـ: معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

Abstract
The research tackles the methodology of Ibn-Heji in his history. The book considers as a regional history book about Damascus which recorded diaries and notes that he synchronized from 796-815 Hijri. His method was annually according to years and months. In general, His news was summarized because of the book nature which the methodology of abbreviation was popular in his time. The study outlined the plan of the book and how Ibn-Heji organized it, and the scientific material of the book, which was historical events and reports about the weather, administrative positions, epidemics, prices, commercial transactions, and deaths. Finally, the research focused on the quality of Ibn-Heji writings, and the impacts of his social position like ignoring bad words

Keywords:
Ibn-Heji, Methodology, Regional history, diaries, Main plan of the book, scientific material.